الواقع المعطى بوصفه يقيناً ثابتاً، ولا يغرق في الخيال الخالص بوصفه غياباً تهويمياً. إنه تخييل لا خيال، وإنه مخيل لا واقع، ذاك هو النص الاختلافي المفتوح.

-5-

هذه أفكار ليست غريبة أبداً على تراثنا، وقد هجس بها النقاد الكبار مثل عبد القاهر الجرجاني والقرطاجني، ولمسها من هو أقل منهم باعاً في تصوراته النظرية مثل أبي هلال العسكري الذي يشير إلى وظيفة الأدب ويحصر شأن الأدبية في (تحسين ما ليس بحسن، وتصحيح ما ليس بصحيح بضرب من الاحتيال والتخيل، ونوع من العلل والمعاريض والمعاذير، ليخفي موضع الإشارة، ويغمض موقع التقصير)[34]. وهو هنا يشير إلى الإخفاء والإغماض والتعمية، مثلما يقول بالاحتيال والتحيل قاصداً النص المعمى، والفعل النصوصي القائم على التخييل. ولذا فإنه يجعل الاستعارة أبلغ من الحقيقة[35]. وجعل التصرف في وجوه القول أبلغ من سلوك طريق المشاكلة. وهذا ليس من مبتكرات ذهنه فهو قد أخذه من البحتري الذي ينقل عنه العسكري أنه (يفضل الفرزدق على جرير ويزعم أنه يتصرف من المعاني فيما لا يتصرف فيه جرير ويورد منه في شعره في كل قصيدة خلاف ما يورده في الأخرى). على أن العسكري يأخذ المبدأ من البحتري ويقلب المثال حيث يجعل الفرزدق هو

(34) العسكري: **كتاب الصناعتين** 53، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1952 م.

(35) المرجع السابق 271 وما بعدها.